



الارتياح الذي ساد الشارع الإيراني بعد توقيع الاتفاق النووي بين الدول الغربية وإيران له ما يبرره فهو ينهي عقودا من الصعوبات الاقتصادية ويعطي مساحة من الانفتاح على العالم الغربي المتعلق تاريخيا بإيران القديمة وحضارة فارس المنحوتة في كل متاحفه ومعارضه الفنية. هذا المسار تعرض له عدد من الباحثين والإعلاميين والساسة الغربيين في حديثهم عن إعادة تأهيل إيران بشروط مختلفة مع حكمولي الفقيه وطبيعته الدينية الطائفية لمرحلة من إدارة الشرق الإسلامي، خاصة المشرق العربي وإقليم الخليج العربي.

ما يهم المواطن الإيراني البسيط هو مساحة الرفاه والانفتاح، وفرص الاقتصاد والتنمية لواقعه الاقتصادي، ويهتم بتطبيق الملحق السياسية غير النووية وغير المعلنة بالضرورة مع واشنطن والتROIكا الغربية لثبت استقرار سياسي جديد، وإصلاح ثقافي يخفف قبضة التطرف لحركة رجال الدين في الشارع الوطني العام، وقبضتهم البرجوازية الاقتصادية التي تخفي حالة استحواذ وصفقات ضخمة مع تجار رأسماليين صعدت أسهمهم بعد الثورة في بازار إيران الكبير.

غير أن مهمة العبور لثبت هذه الصفة يمارسها الغرب حين أقرها مع طهران كمرحلة زمنية يديرها من وراء البحار وعبر طاقم موظفيه، ونفوذه في الحديقة الخلفية للخليج العربي الذي ضمنت له مرحلة زمنية واسعة بعد الانتداب الإنجليزي بتحديد معلم مصالحة وتدفق النفط منه لعقود، تضاف إليها الجيوإستراتيجية لجغرافيا الخليج، وهي عنصر مهم دفع الغرب لاختيار إيران للمرحلة الحساسة من تاريخ الشرق العربي، ولعبة الأمم الكبرى فيه.

يعني ذلك أيضا أن الغرب أو المركز - كما في نظرية المركز والأطراف التي طرحتها الدكتور عبد الله النفيسى قديما - لا يزال يحتفظ بعنصر تفوق نوعي أمام إيران وإن اختارها شريكا.

كما يشاركتها اليوم في إعادة صناعة المشهد السوري لنموذج انتقالى لصالح القطبين يحقق ثبات ذات الحصاد السياسي

في العراق، ويضمن لها لجم التمرد السنوي المناضل لحربيته، ويضمن لها في ذات الوقت إدارة التوخش الداعشي في مناطق السنة، لتحقيق فوضى خلاقة تبتعد عن مناطقهما وتترك لتضرر في جغرافيا العرب الأخرى أو تركيا.

هذه المعادلة لا خلاف حول ثبتيتهااليوم، ولكن خيارات الغرب -المركز-. تختلف عن خيارات إيران التي ستبقى طرفاً من الأطراف وليس مركزاً، وعليه فإن فرص سقوط هذه اللعبة أو تلك ستؤثر عليها كثيراً إلى مستوى خطير قد يهدد وحدتها القومية أو نظامها السياسي.

والذي يطرح مساحة التمدد الإيرانياليوم ويقرؤه بهدوء يدرك تماماً هذا الواقع الخطير والوحش الذي تتمدد فيه إيران الجمهورية الطائفية، فمستوى استهلاك حزب الله اللبناني الموالي لها وصل ذروة متقدمة من الاستنزاف في حربه ضد الشعبين السوري والعراقي، وقد كان سابقاً يخوض معارك محدودة مقتنة مع تل أبيب بعد تصفيته الأسد المقاومة العربية المتعددة التوجهات في لبنان، وتسلیم الجنوب لإيران.

لكن تلك المقاومة الموسمية في جنوب لبنان كانت تقدم خسائر محدودة تضمن لها صناعة إعلامية ضخمة للغاية وتوظيفها سياسياً حول الدولة كلها إلى رهينة في قبضة إيران تضعها ضمن سلة بطاقاتها التفاوضية، في حين تلتهم حربه على الشعبين السوري والعراقي قطار جنائز لم تسبق في تاريخه.

وفي العراق جاءت رسائل التمرد المدني الأخير وكأنها انقلاب ثقافي غير متوقع، ولقد تأثر البيت الشيعي بها، وهو المصطلح الذي سمي به التحالف السياسي الشيعي في أول اجتماعاته في لندن، والذي رحب بغزو العراق وشارك واشنطن في تفاصيله برعاية ودعم إيراني كبير.

وقد تأثراليوم بهذا التمرد وانعكس على خلافات واسعة بين أطرافه في العملية السياسية، ويأتي هذا التطور بعد نجاح المرجعية المقربة من إيران في تحشيد الإنسان الشيعي ضد مواطنه السنوي، ومواجهة مظاهرات الكرامة والحقوق وإسقاط الفصل الطائفي والتي أطلقها ربيع العراق الإسلامي المفتاح.

ثم حول هذا التحسيد الذي كان يستخدمه المالكي وبقائه إبراهيم الجعفري -كل موسم- بفتاوي المرجعية إلى تهجير واضطهاد المدنيين السنة بحملات واسعة واعتقالات عديدة وثلاث حروب وحصار مشترك مع القوات الأميركيّة ضربت المدنيّي الفلوجة ومناطق أخرى.

في حين أن الاحتجاج الأخير كان قوامه من قيادات ثقافية تقدمية علمانية داخل الطائفة الشيعية، إذ إن الحركة التي أطلقت مظاهرات ضد الفساد والإقطاع قبل شهر كانت داخل طبقة اجتماعية تحت نفوذ البيت السياسي الشيعي، وانتهت باعترافات داخلية لأطراف هذا البيت بأن ممثليه السياسيين هم في المجمل متورطون بعمليات الفساد والنهب المنظم الذي جرى في العراق شراكة مع الشركات الأمنية الأميركيّة وصفقات الفساد المتنوعة.

يعني هذا أن التحسيد الطائفي ضد سنة العراق كان يخفي بناء مصلحياً رأسمالياً فاسداً يتاجر بدماء الضحايا المدنيين من الشيعة الذين قتلتهم جماعات العنف من القاعدة إلى داعش (تنظيم الدولة الإسلامية) بفعل مباشر أو بتوجيهه استخباري، وهذا التحسيد كان يضمن لإيران منع وصول أي طرح توافقي أو مجرد تهدئة اجتماعية بين سنة وشيعة العراق العربي يؤثر على استقطاب طهران وتوجيهها لأطراف البيت الشيعي والمرجعيات الموالية.

ومع عدم وضوح إمكانية نجاح خطة الغرب وإيران الأخيرة لاستثمار حرب داعش الدولية وخسيتها من تحويلها إلى متتنفس للثورة تنتهي إلى نقض حكم الأسد وكامل نظامه رغم دعم موسكو وأطراف عربية للخطة فإن هذا السيناريو سيكون خسارته

كبيرة لطهران في توقيت دقيق، يضاف إليه التقدم النوعي للمقاومة اليمنية أمام تحالف الحوثي والمخلوع الذي رعته إيران، وراهنـتـ بلـ واحتـفلـتـ بـ سـقـوطـ صـنـعـاءـ فـيـ يـدـهـ.

والغريب أن بروز مثل هذه التحديات جاء في توقيت تحمـدـ فـيـ طـهـرـانـ ثـمـارـ توـسـعـهاـ وـبـطـاقـاتـ نـفـوذـهاـ،ـ وـهـوـ تـحدـ لـهـ وـجـهـ آـخـرـ لـوـ تـعـزـزـتـ لـغـةـ التـمـرـدـ فـيـ الـقـاعـدـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ فـيـ شـيـعـةـ الـعـرـاقـ وـأـنـتـقـلـتـ لـلـخـلـيـجـ الـذـيـ يـطـبـقـ حـرـكـيـوـ إـيـرـانـ عـلـىـ أـغـلـبـيـةـ قـرـارـ الطـائـفـةـ فـيـهـ،ـ فـضـلـاـ عـنـ اـسـتـقـطـابـ عـنـاصـرـ وـأـفـواـجـ لـتـكـونـ قـاعـدـةـ أـمـنـيـةـ عـسـكـرـيـةـ لـتـدـخـلـ مـقـنـنـ فـيـ دـوـلـ الـخـلـيـجـ يـخـدـمـ نـفـوذـ إـيـرـانـ.

ولا نجمـ بـأـنـ ذـلـكـ التـصـدـعـ فـيـ مـشـرـوعـ إـيـرـانـ الطـائـفـيـ وـارـتـدـادـاتـهـ الدـاخـلـيـةـ الـتـيـ قدـ تـنـقـلـبـ فـيـ الدـالـخـلـ إـلـإـيـرـانـيـ لـصـالـحـ حـرـكـةـ الـيـسـارـ الـاشـتـراكـيـ بـقـيـادـةـ مـرـيمـ رـجـوـيـ أوـ حـرـاكـ الـيـسـارـ الـدـينـيـ أوـ غـيرـهـاـ مـنـ تـيـارـاتـ مـنـاوـئـةـ لـحـكـمـ وـلـيـ الـفـقـيـهـ قدـ تـنـتـهـيـ إـلـىـ مشـهـدـ تـورـطـ كـامـلـ تـبـدـأـ بـ طـهـرـانـ رـحـلـةـ عـدـ تـنـازـلـيـ بـدـلاـ مـنـ اـخـتـرـاقـ تـارـيـخـيـ تـعـاـضـدـيـ مـعـ الغـرـبـ تـحـتـفـلـ بـهـ الـيـوـمـ.

لكـنـهاـ لـحـظـةـ تـحدـ فـارـقـةـ لـلـجـمـهـورـيـةـ الـطـائـفـيـةـ الـتـيـ تـدـيرـ الـيـوـمـ عـدـدـاـ مـنـ الـأـقـالـيمـ الـمـنـاوـئـةـ لـهـاـ بـمـاـ فـيـهـ إـقـلـيمـ الـأـحـواـزـ الـمـحـتـلـ،ـ وـالـذـيـ لـاـ تـخـتـفـيـ أـعـوـادـ الـمـشـانـقـ فـيـهـ لـتـعـدـمـ ثـواـرـهـ الـعـرـبـ الـشـيـعـةـ قـبـلـ السـنـةـ.

فـمـصـالـحـ إـيـرـانـ كـانـتـ تـتـحـقـقـ دـوـمـاـ عـبـرـ خـدـمـاتـ عـرـبـيـةـ مـجـانـيـةـ،ـ خـاـصـةـ مـنـ بـعـضـ أـهـلـ الـخـلـيـجـ كـمـاـ فـعـلـ نـفـطـهـمـ فـيـ نـقـضـ الـرـبـيعـ الـعـرـبـيـ،ـ وـكـمـاـ اـسـتـخـدـمـتـ وـاـشـنـطـنـ بـعـضـهـمـ فـيـ صـفـقـاتـ تـخـدـمـهـاـ وـتـخـدـمـ وـلـيـ الـفـقـيـهـ بـأـمـوـالـهـمـ وـنـفـوذـهـمـ،ـ فـهـلـ تـتـغـيـرـ قـوـاعـدـ الـلـعـبـةـ وـتـحـرـقـ إـيـرـانـ فـيـ موـسـمـ اـخـتـرـاقـهـاـ.

الجزيرة نت

المصادر: